حول اللغة في نقلة واحدة هي: (1) أن للغة غاية وقصد، (2) وغاية اللغة تنعكس في تصميمها، (3) أنها موضوعة، (4) وأن أجزاء اللغة تناسب وظائفها، (5) وأن اللغة لا تعمل بشكل مغاير لطبيعتها، (6) وإذا أردنا أن نستعمل اللغة بشكل صحيح نحتاج إلى تصميمها. ولعل الخيط الذي يصل كل هذه الأفكار ببعضها هو توافق الوظيفة مع الشكل والذي يفترض بدوره وجود العقلانية. وهذا يعني ضمناً أن نظرية هيرموجينيز عن الأسماء يتمّ تصويرها على إنها النظرية التي تقدّم اللغة بوصفها منافية للعقل، وليدة الصدفة وطارئة.

وهذا يفسّر عدم حاجة سقراط إلى نبذ فكرة هيرموجينيز مباشرة والقائلة أن أي سيّد يستطيع تغيير اسم خادمه حيث إن تشبيه اللغة بالحياكة حوّلت المناظرة برمّتها إلى مستوى مختلف ولعلّ من الخطأ الافتراض أن سقراط يتوقّع منّا أن نأخذ التشبيه حرفياً، إذ ليست اللغة نولاً للحياكة ولا هي اختراع مادي آخر. ولكن سقراط في الواقع يقول: «إذا أردنا البحث في اللغة علينا أن نفترض أن اللغة وظيفية. وإلا فليس هناك من شيء نبحثه. وبالمثل ما لم نفترض أن نول الحياكة وظيفي فليس هناك معنى في السؤال عن سبب وصفه وتجميعه بهذا الشكل أو ذاك. ولذلك فإن من السخف أن نبدأ بنظرية كنظرية هيرموجينيز، لأننا إذا ادّعينا أنه يمكن تغيير الأسماء بشكل عشوائي حسب الأهواء الفردية فإن ذلك يعني ببساطة أننا ننكر عنصر الوظيفية في اللغة مسبقاً وهذا لا يدع لنا أساسا للبحث على الإطلاق».

الوظيفية إذاً تعني أن الشكل ليس وليد الصدفة ولكنّه مصمّم ليؤدّي غرضا معينا. ما الذي يجعل صيغة اسم من الأسماء أكثر ملائمة لغرض معيّن دون غيره من صيغ الأسماء الأخرى؟ وهذا ينقلنا إلى الخطوة التالية في مناظرة سقراط حيث تُعرض الفكرة القائلة أن الكلام يمثّل الحقيقة أو يصوّرها. وهكذا يصبح الاسم مصمّماً بشكل جيّد اعتمادا على مقدرته على

سقراط والأسماء

هيرموجينيز: ها هو ذا سقراط، هل نشركه في المناظرة؟

كراتيليس: إذا شئت ذلك.

هيرموجينيز: اعلم يا سقراط إن كراتيليس الذي أمامك يقول إن لكلّ شيء اسماً صحيحاً خاصّاً به تمنحه الطبيعة وليس هذا الاسم هو مجرّد ما يطلقه الناس على الشيء بالاتّفاق، أو مجرّد الأصوات التي تطلق على ذلك الشيء، ولكن هناك نوعاً من الدقة المتأصّلة في الأسماء. وهذا ينطبق على جميع الناس من الإغريق وغير الإغريق .ولذلك سألته: هل إن اسمه في الحقيقة كراتيليس؟ فاتّفق إنه كذلك، ثمّ سألته: ما معنى اسم سقراط؟ أجاب: إنه سقراط. وسألته ثانية: هل ينطبق ذلك على جميع الناس وهل ن الاسم الخاص الذي ننادي به كلّ شخص هو اسم ذلك الشخص؟ أجاب: حسناً. . . إن اسمك ليس هيرموجينيز حتى لو أن جميع البشرية دتك بهذا الاسم. (كراتيليس 383)

وهكذا يبدأ أقدم سجلّ للمناظرة المستفيضة في المسائل اللغوية التي